نجمة

كانت الإضاءة خافتة، الوقت ليلاً. الزوج مسافر كعادته، الأطفال نائمون في غرفتهم، هي تنام وحيدة، الوحدة إحساس يسكنها، تطارد النوم كعادتها.

فجأة.. شاهدت شيئاً يدخل الغرفة، في الإضاءة الخافتة بدا كالشبح بلا معالم، شعرت إنها تتخيل، الشبح صار أمامها، ينظر إليها وتنظر إليه، إنه حقيقة، شعرت بالخوف، دفعها.. سقطت.

الأشباح لا تدفع البشر، تخيفهم فقط، لابد أنه لص، ليس هناك تصور آخر، ماذا ستفعل؟ واللصوص أشد خطورة من الأشباح، كيف دخل الشقة؟ لا وقت للتساؤل، لقد بدأ يقترب منها مرة أخرى، بدأت معالمه تتضح، أشهر في وجهها سكيناً، تشعر بها تكاد تلامس عينيها، بدأ يقترب أكثر من السابق، بل أكثر من اللائق، شعرت بأن أمراً ما سيحدث، لمسها، اشتعل جسدها غضباً وناراً حارقة، نجحت في النهوض، تجاهلت السلاح في يديه وكأنها لا تراه ولا تشعر به، تعرف كيف تدافع عن نفسها، لن تدافع عن الأموال ولا الذهب، ليأخذ ما يريد ويرحل، أما أن يحاول سرقتها هي.. فلا.

اقـترب . . ابـتعدت . . اقـترب مـرة أخرى، دفعته بقوة الغضب داخلـها، لا تعـرف من أين جاءت هذه القوة ولكنها دفعته، مسجونة في هذا البيت، حلم الحرية يراودها دوماً، يمنحها قوة، استغلتها الآن.

سـقط . . سـقط هو ولم تسقط هي، إنه يحاول النهوض، تعرف أنـه سـيثأر لسـقوطه، فالرجال لا يسقطون، نهض، ولكنه سقط مرة أخـرى، هـذه المـرة رقـد بـلا حراك، الدفعة كانت قوية نحو الحائط، الحائط به مسمار صلب بارز، لابد أنه سبب السقوط.

رأت الـدم يـندفع مـن رأسـه بغزارة، صرخت صرخة تجمع بين الخـوف والانتصـار، أسـرعت نحو غرفة الأطفال، أغلقتها، اندفعت نحو باب الشقة، فتحته، صرخت: لص . . لص.

تجمـع عـدد مـن الجـيران في بـيت السـيدة التي لا يعرفونها، ولا تعـرفهم، هـذه السيدة القابعة خلف حجاب الباب، هذا الباب المغلق دائماً، الآن فتحته، ولأول مرة دخلوا، دخلوا ليسمعوا القصة، قصة اللص.

رددت بصـوت مـرتعد في نهايـة قصتها: ثم . . ثم انتصرت عليه بفضل الله.

بـدت القصة عجيبة في عيون الجيران، تساءلوا، لماذا يكون فضل الله في حجرة النوم ؟

والسيدة بملابس النوم ؟ وباب الأطفال موصد من الخارج ؟ والمرأة وحيدة في الشقة ؟

تخيلوا أمراً آخر وأقسموا عليه، رفضوا تصديق الحقيقة، فالحقيقة لم تكن واضحة، كانت مختبئة خلف الباب مثل السيدة تماماً.

صرخت: إنكم عميان ؛ نظرت حولها، لاحظت أن الغرفة ليس بها سوى رجال.. رجال فقط، إنهم لا يتأملون الجثة بل يتأملونها هي، إنها النظرة نفسها.. نظرة اللص الذي دفعته، رغم الظلام والضوء الخافت أدركت النظرة، إنها المرأة الوحيدة في هذه الغرفة، وحيدة مرة أخرى. أصبح اللص رجالاً، هل ستدفعهم جميعاً، إنهم يقتربون، صرخت بأعلى صوتها، إنها لا تملك الآن إلا صوتها، إنها وحيدة الآن، بل أكثر وحدة مما مضى.

(انتهى المشهد)

برافو.. رائع.. صفق الجميع، لقد أجادت اليوم، انتهى التصوير، كان المشهد الأخير.

غادرتْ الأستديو إلى المستشفى، أمها ترقد هناك، والحالة حرجة للغاية.

دخلتْ غرفة الأم، الأنابيب تخرج من كل مكان، مقياس القلب هادئ مثل البحر الساكن. لم تلاحظ، اقتربت من الأم بهدوء، جلست إلى جوارها، همستْ: كنت أبحث عنك اليوم يا أمي، كان المشهد الأخير صعباً للغاية، ذكَّرني بالماضي، بكل الرجال في حياتي، هؤلاء الذين كانوا يحلمون بالاقتراب من الضوء الساطع محاولين إطفاءه، كل التجارب كانت فاشلة، أعرف طعم الفشل، عرفت معنى ظهور الرجل ومعنى اختفائه.

الظهور والأفول لهما الطعم نفسه، كلاهما مر، سلسلة لا تنتهي من التضحيات، وكثيراً ما تكون صعبة ومستحيلة، كسبت نفسي، لم أنطفئ، صرت نجمة لامعةً لأنك معي.

أحاطوني يا أمي، أحاطني الماضي، صرخت، كنت أناديك، أبحث عن يد تنتشلني، يد تساعدني على النهوض، كنت أتجاوز بك كل آلامي، فعثراتي كثيرة.

أنت في حياتي الشيء الثابت الذي لا يتغير، الحب الذي لا يتبدل، أنت عالمي، أرجوك تماثلي للشفاء، أنا دونك وحيدة.. وحيدة الآن.. بل أكثر وحدة مما مضى.

غادرتْ الغرفة، كانت متعبة، دخل الطبيب، نظر في جهاز

القلب، أدرك أن الأم قد ماتت.

رحلت الأم، الموت كان في الانتظار، ولكن النجمة ما زالت ترفض هذا الرحيل.